

تجربة الدكتور علي نجم عيسى تجربة قيمة لابد ان تستمر وتتكامل

بقلم : أ.د. احمد الحسو

الحلقة الثالثة

تحدثنا في الحلقتين السابقتين عن التجربة التي عاشها الأستاذ الدكتور علي نجم عيسى مع وثائق مدارس الموصل التي نجح في جمعها من أرصفة الطرقات – وكان من لم يدرك قيمتها، قد رماها فيها، بهدف إتلافها – ومن ثم نقلها الي مخبر له في سكنه، فقام بترميمها وحفظها في سجلات، ثم أعقب ذلك بإعادتها الى المدارس ذات العلاقة بعد احتفاظه بنسخة صورها لنفسه



صورة لبعض السجلات التي تم انقاذها

ثم قام بتحليلها واستخراج سجلات إحصائية لمضامينها، وكانت أولى الثمرات في دراسته لها، ظهور كتابه القيم (مدارس الموصل، دراسة تاريخية حضارية).



المؤلف مع جانب من سجلات مدارس الموصل في مكتبته الخاصة بعد جمعها وترميمها

في حلقتنا هذه سأحدث عن ثلاثة جوانب افرزتها هذه التجربة الرائدة.
أولاً:

أنها نبهت الى ما يصح ان نطلق عليه: **مجزرة التراث**؛ يوم صبت جهالة الجهلاء ولعنة الحرب، جام حماقتها فأطلقت يد الهدم في تراث الموصل ونيوى؛ فإذا هو بين مهدم أو محترق أو مسروق أو مرمي على ارصفة شوارع المدينة وفي مكبات النفايات، مما أفقد العراق وبأسف كبير - معظم إرثيف مؤسسات مدينة الموصل، و بين ذلك، كنوز مكتبة جامعة الموصل المركزية، ومكتبة مركز الدراسات الإقليمية فيها، و بيت الفن ومرسم جامعة الموصل اللذين كانا يحتويان على لوحات فنية ذات قيمة عالمية، وكنوز مكتبة الأوقاف المركزية ومكتبة المدينة العامة (مكتبة غازي سابقا) وكنوز متحف الموصل ،ومعالم المدينتين التوأمن الأثرية ؛الموصل ونيوى. انه واقع يضعنا أمام مسؤولية ضمن ثلاثة أطر:

أولها البحث عما تبقى من التراث حتى ولو كان ركابا.

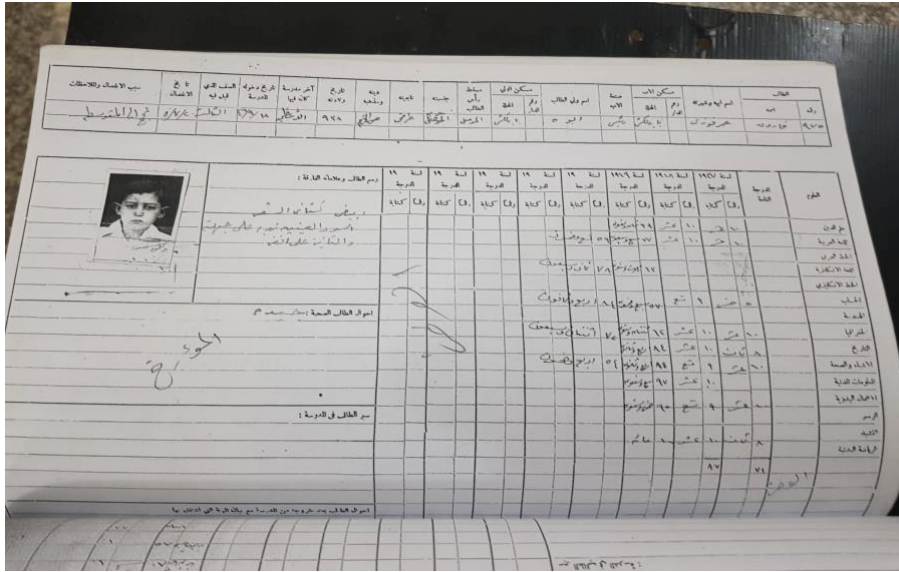
وثانيها استرجاع ما تمت سرقة مما يتواجد الآن في الأسواق السوداء، أو في غيرها .
وثالثها الحفاظ على ما سلم من الوثائق المحفوظة في دور العقار والمحاكم الشرعية والمدنية والأوقاف والمكتبات والمساجد والكنائس ودور العبادة الأخرى والوثائق الخاصة بالأسر الموصلية، وتلك - لعمرى - مسؤولية كبرى تقع مسؤولية تنفيذها على عاتق أكثر من جهة على المستويين الوطني والمحلي، وفي المقدمة منها **المكتبة الوطنية** التي يؤمل منها تفعيل، القوانين والانظمة المقررة من قبل الدولة من جهة، وإغناؤها وتحديثها من جهة أخرى بما يتلاءم مع المستجدات وبخاصة إبان الحروب والأزمات.

اما على الصعيد المحلي فان الدور الأكبر يقع على عاتق الجهات التالية:

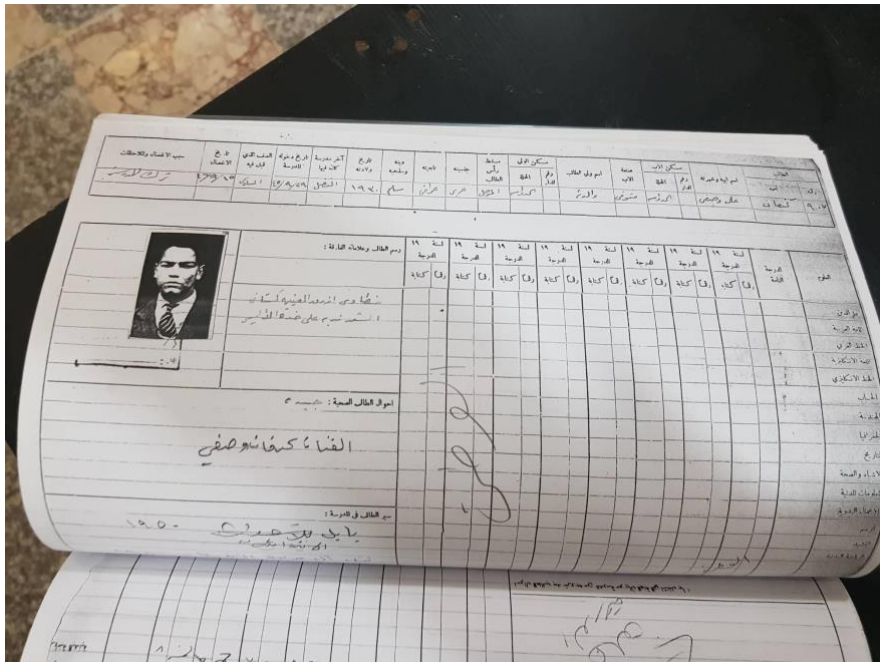
- ١- الدوائر التي تمثل مديرية الآثار العامة في الموصل ونيوى.
- ٢ - جامعة الموصل بقدر تعلق الامر بالأمانة العامة لمكتبات جامعة الموصل (وهي السبابة في مجال حفظ التراث منذ تأسيسها سنة ١٩٧٤) ومركز دراسات الموصل ومركز الدراسات الإقليمية فيها (وهما مركزان عرفا بدأبهما في مجال خدمة تراث الموصل).
- ٣ - المكتبة المركزية العامة ومكتبة الأوقاف المركزية (وكلتاها منبع الاهتمام بالتراث ومجمعه الكبير في الموصل واطرافها).
- ٤- دوائر الدولة في محافظة نيوى من حيث مسؤوليتها عن حفظ سجلاتها ووثائقها بموجب القوانين السائدة.

ثانيا:

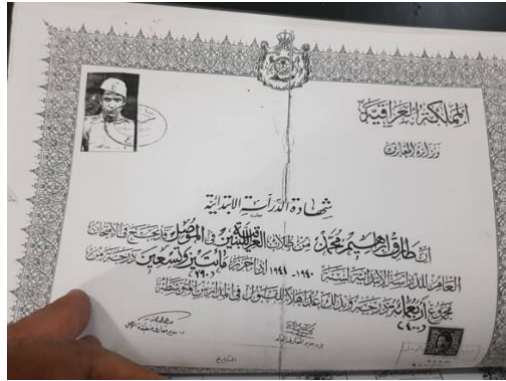
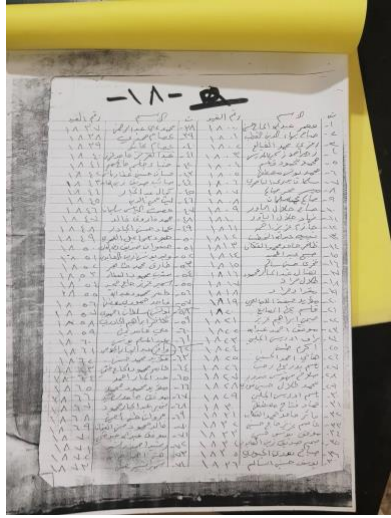
أظهرت نماذج عديدة من الوثائق الخاصة بمدارس الموصل والتي زودني بها الأستاذ الدكتور علي نجم عيسى - مشكورا - انها غنية بمعلوماتها فيما يخص العملية التعليمية والحياة الاجتماعية في الموصل ،فقد تحدثت عن التطور المعرفي لكل طالب فشهر فشهر، وتضمنت : المواد التي درسها الطالب والدرجات التي حصلها، ونجاحه او فشله، ثم صورة له مرفقة بعلماته الفارقة ، واحواله الصحية ، وسيرته في المدرسة وخارجها، وذكر المهنة التي شغلها بعد مغادرته للمدرسة ، كما تضمنت اسم الأب والشهرة ومهنة الاب، ورقم دار السكنى، ومسقط الرأس وتاريخ الولادة ، كما تضمنت جنسية الطالب وتبعيته ودينه (انظر الوثائق أدناه) :



وثيقة الطالب فارق عمر فوزي، من طلبة مدرسة الوطن الابتدائية، وهو أحد كبار المؤرخين المعاصرين



وثيقة الطالب كنعان وصفي، الفنان والممثل المعروف رحمه الله



وقد أثمر الجهد عن العثور على مجموعة واسعة من الصور لأعضاء هيئات التدريس وللطلبة كما يتضح في النموذجين التاليين:





تلك مادة مهمة تضع امام الباحثين مشاريع لدراسات عن تطور التعليم في الموصل وعن ديموغرافية المدينة ومحلاتها وحياتها الاجتماعية والمهنية، وكم هو مفيد ان يكون الدكتور علي - وهو رجل هذه المبادرة القيمة - على رأس فريق من الباحثين لإخضاع كل الوثائق التي بحوزته وتلك التي قد يحصل عليها مستقبلا لدراسة كمية إحصائية، وانني و(مركز الحسو للدراسات الكمية والتراثية) الذي أديره في انكلترا (، على استعداد تام للتعاون معه فيما يخص الجوانب الفنية الإحصائية، من اجل إنجاح المشروع، إذا ما وجد فريق العمل الملئم للقيام به.

ثالثا:

في كتابه عن (مدارس الموصل..)، لم يشأ المؤلف الفاضل الاقتصار على التأريخ لمدارس الموصل في العصر الحديث، بل أرخ لها في كما كانت عليه في العصور الإسلامية، ولم يغفل الإشارة الى جذور حركة التعليم في التاريخ القديم، تأكيدا لحقيقة التواصل المعرفي القائم بين الأجيال واعترافا بفضل من سبقوا عصرنا وحملوا امانة المعرفة إلينا.

ومع ان المعلومات عن هذه المدارس في الكتاب المشار اليه، جاءت منسجمة مع طبيعته التي تحرت تقديم صورة شاملة لمدارس الموصل عبر التاريخ الوسيط والحديث -، فان ثمة حاجة الى دراسة أكثر تفصيلا وشمولا عن مدارس الموصل من حيث تاريخها والوثائق الوقفية الخاصة بها، وشيوخها، وتلامذتها، ومناهجها، ومكتباتها، وحلقات التدريس فيها، وتقاليد حصول خريجيها على الاجازة العلمية. تلك طموحات نتطلع الى من يحققها؛ توثيقا لتراث المدينة والى تطور التعليم فيها.

ان من المؤلف ان نجد مدارسنا اليوم
وقد أصابها كثير منها الهدم والإهمال،
وصار بعضها ركاما،

وتحول البعض الآخر الى مكان للسكنى، ولم يسلم منها الا القليل.

ولعل الفيديو المرفق مع هذه الدراسة والخاص بأهم مدارس الموصل التي تخرج منها كبار علمائها- ونعني بها مدرسة آل الرضواني - يعطي نموذجا لما انتهى اليه الأمر، ولا بد من الإشارة الى انني شأهت عملية بناء لما تزل مستمرة فيها، مما نأمل ان يكون إعادة لتعميرها على غرار جهود الافاضل من آل الرضواني وغيرهم مما يظهر في النص التالي .



الصورة أعلاه: نقلا عن الأستاذ غانم محمد الحيو في مقاله المنوه عنه ادناه

(انظر الفيديو الخاص بزيارة كاتب هذه السطور
لموقع مدرسة آل الرضواني أوائل شهر نيسان / ٢٠١٩)
وانظر كذلك مقال الباحث في التراث الأستاذ غانم محمد الحيو بعنوان
(مسجد ومدرسة الرضواني)
نقلا عن بيت الموصل وكان كاتب هذه السطور ضمن هيئة التحرير فيه)
<https://www.baytamosul.com/1594157516061605-1605158116051583-157516041581161016171608/3>

وبعد، فان الأمم الحية تعزز بمؤسساتها التعليمية القديمة، وتحافظ عليها وتؤرخ لرجالها، وتعتبرها أساسا في مسيرتها نحو المعرفة، بغض النظر عن التباين في فلسفة التعليم بين القديم والجديد.
فهل نحن فاعلون؟